Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

رؤية الآثار فى شعر شوقى

مراجعات فى خطاب النهضة(*)

كلما اقتربنا من نهاية القرن تكثَّف الشعور بالزمن، واحتدمت المراجعات العصبية لمسيرته، وتجلَّى الإحساس بأننا نقترب من حافَةٍ خطيرة هى الحدُّ المسنون الذى يقف مفصليّاً بين عصرين، وكان ذلك يتمثل دائماً فى العصور القديمة على شكل نبوءات فاجعة بنهاية العالم وقرب القيامة، لكنه أخذ صورة أكثر عصرية فى مقولات سقوط الأيديولوجيا ونهاية التاريخ، واتسم لدينا على وجه الخصوص بشعور حادٍّ من التوتر والإحباط، وفشل مشروع النهضة فى التنوير وتحقيق أهداف الوحدة والتقدم.

لكن المقارنة النقدية لخطاب النهضة كما يتجلَّى فى أعمق مكوناته الحميمة وأكثرها جماهيرية – يثبت لنا بُطلان تلك الأحكام المتسرعة، التى تدين حركة التاريخ العربىِّ وتَنعى انكساراته لتوهمنا بوقوعه فى مستنقع آسنٍ، يتخبط فيه على هامش الحضارة المعاصرة، إنْ لم يناصبها العداء السافر . فقد تم تكريس مصطلح النهضة ذاته والإجماع على مشروعيته منذ ما يربو على قرن من الزمان، وتعددت السبل لتحقيقه متمثلةً فى عدد من المنظومات الفكرية والأيديولوجية، التى تعرض على مَحَكِّ الاختبار التاريخىِّ فى الممارسة العملية، فتتضح نجاعة بعضها وقصور بعضها الآخر عن بلوغ الأهداف الاستراتيجية المنشودة، فحتى من يرفع شعار العودة للماضى يتذرَّع لذلك بأنه سبيل النهضة والتقدم . ولم ينشأ الخلاف على هذا المصطلح إلا عندما أراد أن يُفسح المجال لابنه ووريثه الطبيعىِّ، وهو "الحداثة" التى شابتها فى بعض الأوساط الأوربية والعربية دلالات فارقة اختلف حولها الناس، ولا يزالون مختلفين.

فإذا اقتصرْنا على تحليل بعض ملامح خطاب النهضة كما يتجلى فى شعر شوقى مثلاً – أمكننا أن نضع الإطار الملائم للكشف عما أنجزه هذا الخطاب وأسسه من رؤية تقدمية لم تعد مجال انتكاس أو شكٍّ فى ضمير الثقافة العربية الحديثة. على

(*) منشورة فى كتاب "أشكال التخيل".